تكنولوجيا المعلومات والعلاقات الاجتماعية
دراسة فى أخلاقيات العصر الإلكترونى

إعداد
د. شريف درويش اللبان
المدرس بكلية الإعلام
جامعة القاهرة

إن تكنولوجيا المعلومات تضع أمامنا خيارات عديدة ، فهذه التكنولوجيا لا تمنحنا فقط أساليب مختلفة للعمل والتفكير والترفيه ، بل إنها تقدم لنا أيضاً الخيارات الأخلاقية المختلفة ، هذه الخيارات الأخلاقية ethics ، هى التى تعكس بعض المعايير التى تساعد فى توجيه السلوك والتصرفات . ومع امتزاج أجهزة الكمبيوتر والاتصالات ، فإننا نُواجه الآن بما يمكن أن يُطلق عليه الأخلاقيات فى العصر الإلكترونى cyberethics ، وهى التى تقوم بتحديد الأفعال الصحيحة فى هذا العالم الرقمى Digital Universe .

فى هذه الورقة البحثية نتناول بعض هذه الأخلاقيات ، حيث نتحدث عن خمسة مجالات مهمة لهذه النوعية من الأخلاقيات .

أولاً: المساواة الاجتماعية
Social Equality

لا تتحقق المساواة فى الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات لكل الجماعات الاجتماعية ، فعديد من أعضاء جماعات الأقليات والجماعات محدودة الدخل ليس لديهم تليفونات . وحتى فى أكثر الدول ثراءً وليبرالية ، مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، نجد أن حوالى ٩٥ ٪ من المنازل يوجد بها تليفونات ، فى حين أن هذا الرقم يصل إلى حوالى ٨٥ ٪ من المنازل الأمريكية التى يقطنها أمريكيون من أصل أفريقى African Americans[1] .

وقبل عام ١٩٤٠ ، كانت شركات الهاتف تتجنب أحياناً المناطق الفقيرة إعتقاداً منها بأن تلك المناطق لن تحقق ربحية عالية ، واليوم .. فإن خطط المساعدة الهاتفية Telephone Assistance Plans متاحة لدعم التليفونات لمحدودى الدخل فى الولايات المتحدة . وعلى الرغم من ذلك ، فإنه لا يزال عديد من الأسر لا يستطيع أن يدفع رسوم الخدمة التليفونية المدعومة ، مما يجعل هذه الأسر معزولة عن عالم الأعمال ووكالات المساعدة الاجتماعية والأسرة والأصدقاء .

وبناء على دراسة أُجريت على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية على الأطفال فى سن المدرسة ، وقد أجرت هذه الدراسة « خدمة الاختبارات التعليمية » Educational Testing Service ، وتبين منها أن الدارسين البيض يتمتعون بمستويات أعلى فى تعلم الكمبيوتر بالمقارنة بالأمريكيين الأفارقة أو الدارسين من أصل إسبانى ، أو الذين ينتمون أساساً لجذور لاتينية . وقد تبين أيضاً أن هذه الفجوة تظل موجودة بين الجماعات فى السنوات الأعلى من التعليم(٢) .

ولعل ما يفسر هذه الفجوة هو التعرض المتباين لأجهزة الكمبيوتر فى المنازل . فلا يزال الدارسون البيض الأوفر حظاً ، إلى حد بعيد ، فى تملك أجهزة كمبيوتر منزلية . وقد أوصت الدراسة السابقة ذاتها أنه فى حين أن الكفاءة فى مجال الكمبيوتر تبدو متساوية تقريباً بالنسبة للذكور والإناث فى السنوات الأدنى من التعليم ، إلا أنه بحلول الصف السابع يتقدم الذكور على الإناث بشكل كبير . ومرة أخرى ، فإن مدى إتاحة أجهزة الكمبيوتر المنزليـــة تعد عاملاً أساسياً فى هذه السبيل .

ويعتقد البعض أن تعليم الكمبيوتر Computer Education يتضمن ، فى حد ذاته ، منهجاً دراسيًا خفيًا Hidden Curriculum يفرض قيم الثقافة السائدة من خلال تعليم السيدات والأقليات إطاعة الأوامر ، والعمل على أقلمة هذه الجماعات على تنفيذ المهام المتكررة ، وبعبارة أخرى فإن تعليم الكمبيوتر يهدف أن يتعلم الدارسون أيضاً قبول السلطة .

وبناء على هذا الجدل ، فإن الجهود ذات النوايا الحسنة والمبذولة للقضاء على هذه الفجوة الكمبيوترية ، لأن هذه الجهود تعمل على أن تتكيف هذه الجماعات بدرجة أكبر ، لكى تقبل «مكانها» فى ظل نظام من الاستغلال الاقتصادى.

وتستمر الفجوة الكمبيوترية بالنسبة للأقليات والنســـاء حتى سن النضج والدخول إلى سوق العمل ، فصناعات تكنولوجيا المعلومات ، والمهن المتضمنة فيها يسيطر عليها بدرجة كبيرة الذكور البيض . وبناء على تقرير لمؤسسة العلوم الأمريكية National Science Foundation ، ففى عقد الثمانينيات كان ٣ ٪ فقط من المتخصصين فى مجال الكمبيوتر من الأمريكيين الأفارقة .

وعلى الرغم من أن سيدات مثل ليدى لاڤليس Lady Ada yron Lovelace تعـد أول محللـة نظم كمبيوتر على مستوى العالم ، وجريس هوبر Grace Happer مطـورة لغـــة الكوبول COBOL إحدى لغات البرمجة ، وإيلين هانكوك Ellen Hancock نائب رئيس شبكة خدمات IBM ولـور هـارب Lore Harp مخترعة أول برنامج للمتجهات الجرافيكية Vector Graphics ، على الرغم من أن كل هؤلاء السيدات قد لعبن أدواراً بارزة فى صناعة الكمبيوتر ، إلا أن السيدات لا يتم تمثيلهن التمثيل الكافى فى مجالات علوم الكمبيوتر(٣) .

وتشير «إحصاءات مكتب العمل» Bureau of Labor Statistics فى الولايات المتحدة إلى أن السيدات اللاتى يعملن فى مهن متعلقة بالكمبيوتر يكسبن أقل بكثير من زملائهن الذكور ، وذلك على الرغم من أن الفجوة أقل نوعاً .

كما أن السيدات يتحملن أيضاً وطأة فقدان وظائفهن من جراء الاتجاه إلى أتمتة المكاتب Office Automation ، فى حين أن الأقلية من العمال الذكور ذوى الياقات الزرقاء يشغلون الوظائف التى تتبقى من أجهزة الروبوت ، التى تقوم بمعظم الأعمال فى مجال التصنيع . وحتى المهنة الوحيدة المتعلقة بالكمبيوتر ، والتى تضم نسبة كبيرة نسبيًا من الإناث ، وهى «مبرمج كمبيوتر» Computer Proprammer ، هى أيضاً فى طريقها إلى الأتمتة ، وذلك بفضل ظهور «نظم هندسة البرامج بمساعدة الكمبيوتر» Computer-aided Software Engineering (CASE) Systems هكذا ، فإن الوظائف ذات الدخل المرتفع ، والتى وفرتها تكنولوچيا المعلومات ، عادة ما تكون فى مجالات تقنية ، ويسيطر عليها الذكور البيض[٤] .

وفى الولايات المتحدة ، فإن السيدات ، ومعظمهن من المهاجرات الجدد من دول أمريكا اللاتينية ، يعملن فى «حجرات نظيفة» فى المصانع التى يُعهد إليها بتجميع أجزاء الكمبيوتر ، فى حين أن أخريات يعملن بالقطعة ، حيث يقمن بتجميع أجزاء الكمبيوتر فى مطابخهن الخاصة . ويقول أصحاب المصانع والمستخدمون فى «وادى السيليكون» Silicon Valley إنهم يقدرون غرائز الأمومة وأخلاقيات العمل بالنسبة للسيدات العاملات وخفة حركتهن وذكائهن ، إلا أنه يُفرض عليهن قبول أقل[٥] .

وتصل العواقب أحياناً إلى ما هو أبعد من الاستغلال المادى أو الاقتصادى ، فالغرف المصممة للحفاظ على أجزاء الكمبيوتر نظيفة داخل مصانع تجميع أجزاء الكمبيوتر ، لا تحافظ بالدرجة نفسها على رئات الموظفات نظيفة . فمن المعروف أن المذيبات المستخدمة مع رقائق الكمبيوتر تعد سامة بدرجة كبيرة عند استنشاقها ، مما يؤدى إلى الخلل فى جهاز المناعة Immune System Disorders ، وتشوهات الجنين Birth Defects ، وحالات الإجهاض المتكررة للعاملات فى «الحجرات النظيفة»[٦] .

كما أن الفرضية الخاصة بفجوة المعرفة Information gap Hypothesis تثير قلقاً مشابهاً ومساوياً فيما يتعلق بتأثيرات تكنولوچيا المعلومات ، حيث إن هذا المدخل يميز بين «الأثرياء بالمعلومات» Information Rich و «الفقراء فى المعلومات» Information Poor . وبالطبع فإن المجتمعات التى تتسم بالثراء المعلوماتى هى التى تتمتع بمستويات عالية ومتميزة من التعليم ، وتستطيع الوصول إلى مصادر المعلومات مثل المكتبات وأجهزة الكمبيوتر المنزلية المتصلة بشبكات المعلومات ، فى حين أن المجتمعات التى تعانى الفقر المعلوماتى تحصل على مستويات متدنية من التعليم والوصول إلى مصادر المعلومات ، وتميل إلى أن تكون فقيرة أيضاً من الناحية الاقتصادية[٧] ، انظر شكل ١ .

وتقول الفرضية إن تقديم تكنولوچيا جديدة فى مجال المعلومات سوف يفيد كلا النوعين من المجتمعات ، إلا أنه سوف تفيد «أثرياء المعلومات» بدرجة أكبر . ولعل السبب فى ذلك أن «أثرياء المعلومات» يتمتعون بالمزايا ، التى تساعدهم على أن يتسيدوا التكنولوچيات الجديدة ، ويتفوقوا فى استخدامها بشكل أسرع .

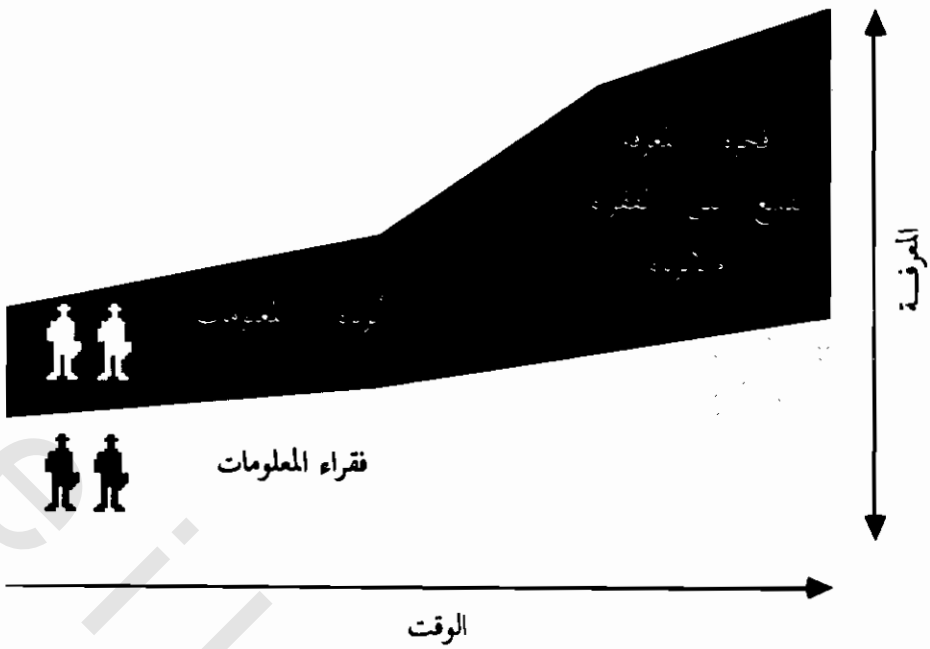

شكل (١) : وفقاً لفرضية فجوة المعرفة ، فإن تقديم تكنولوجيات جديدة سوف يساعد أثرياء المعلومات لكى يصبحوا أكثر ثراءً ، وفقراء المعلومات ليصبحوا أكثر ثراءً ، ولكن الأثرياء يصبحون أكثر ثراء بدرجة أسرع ، مما يتسبب فى اتساع فجوة المعرفة .

وهذا يعنى ، فى النهاية أن الفجوة بين الأغنياء والفقراء سوف تتسع بشكل ملحوظ بمرور الوقت ، بما قد يؤدى إلى خلق مجتمع مكون من طبقتين Two - layered Society ، دون وجود طبقة وسطى ، ويرى الديموجرافيون والاقتصاديون أنه توجد زيادة طفيفة فى هذا الاتجاه . وعلى أية حال، فإن ثمة عوامل أخرى ، بالإضافة لتكنولوجيا المعلومات ، مثل حالة الكساد الطويلة وانخفاض معدلات التعليم المجانى والضرائب المتزايدة ، قد تكون مسئولة عن ترسيخ هذا الاتجاه .

ثانيا: حرية التعبير والرقابة
Free Speech and Censorship

فى صباح أحد الأيام ، قام جون سيبروك John Seabrook الكاتب الصحفى بمجلة «نيويوركر» New Yorker ، بتفحص البريد الإلكترونى على جهاز الكمبيوتر الخاص به ، ليجد رد الفعل التالى على قصته الإخبارية التى نشرها عن «بيل جيتس» Bill Gates ، رئيس شركة «ميكروسوفت»[٨] :

«اسمع ، أنت اليوم (كلمة محذوفة) سلة نفايات ... انزع رأسك (ثلاث كلمات محذوفة) الطويلة لتنظر حولك وتلاحظ أن المخبرين الصحفيين الحقيقيين لا يتزلفون من خلال موضوعاتهم ، ويتظاهرون بأن موضوعاتهم تصنع نوعاً من الاتصال الخاص بهم ، أو تحمل نكهة البهارات من خلال ما أعظم ما تقدمه موضوعاتهم من (كلمة محذوفة) بروفيل سيقوم بتغيير الواقع ، ليفاخروا بأنهم قد نشروا ذلك ...» وعقب انتهاء سيبروك من قراءة الرسالة ، استشاط غضباً من محتواها .

إن أحد أشكال التعبير التى يتفرد بها الاتصال المباشر عبر أجهزة الكمبيوتر Onlin Communication ، هى أن يعبر الإنسان عن غيظه بأن يقوم بكتابة رسالة مباشرة عبر جهاز الكمبيوتر . وتحوى هذه الرسالة ازدراءً وأقوالاً فاحشة أو لغة غير مناسبة ، وللأسف ، فإن القوانين التى تحمى الفرد عندما يتحدث فى التليفون أو يستمع إلى الراديو أو يشاهد التليفزيون لا تستطيع أن تحميه من البذاءات التى قد يحملها البريد الإلكترونى إلى عقر داره .

إن البذاءات التى ترد عبر البريد الإلكترونى لايمكن أن تُقال فى التليفون ، ولا يمكن أن يتفوه بها شخص فى وجه شخص آخر . قد تأتى هذه الألفاظ المشينة فى خطاب ، ولكن بعض الأشخاص سوف يفكرون مرتين قبل إرسال مثل هذا الخطاب ، ولكن البريد الإلكترونى يفتح الباب واسعاً لأن يرسلوا أية رسائل طالما لا يوجد دليل لإدانة ما قد تحمله هذه الرسائل من أشياء يعاقب عليها القانون .

إن طبيعة البريد الإلكترونى تتمثل فى أن الفرد لا يفكر مرتين قبل أن يكتب رسالته ، فهو يكتب ويرسل ما يكتبه على الفور . كما أنه فى البريد الإلكترونى لا تتضح الصفات الحاسمة لشخصية الفرد، والتى يمكن أن تتضح فى الحال فى الاتصال المواجهى face to face communication ، وهو ما لا يمكن إفشاؤه فى الاتصالات المباشرة عبر الكمبيوتر . وعلاوة على ذلك ، فإن عديداً من الأفراد يستخدمون ألقاباً بدلاً من استخدام أسمائهم الحقيقية عند اللجوء إلى البريد الإلكترونى .

وللأسف ، فإن الخدمات المباشرة Online services لا تتدخل غالباً فى الرسائل التى يتم نقلها عن طريقها عبر البريد الإلكترونى ، والسبب فى ذلك أن رسائل البريد الإلكترونى تعد اتصالات تتمتع بالخصوصية ، ولذلك فإن هذه الخدمات غير قادرة على تنظيم ما تحمله هذه الرسائل من محتوى. وفى الحقيقة ، تحاول بعض الخدمات المباشرة فى الوقت الحالى أن تقوم بترتيب هذه الاتصالات وتنظيمها ، حيث تقوم إحدى هذه الخدمات باستخدام برنامج لتصيد استخدام اللغة المتدنية والكلمات الهجومية الأخرى . ويقوم البرنامج بتحذير المستخدمين بضرورة محو هذه الكلمات وألا تخضع رسائلهم للرقابة[٩] .

إن هذه المشكلات التى تحوط البريد الإلكترونى تثير عديداً من التساؤلات المعقدة حول السلوك المناسب الذى يجب الالتزام به عبر الخدمات المباشرة Online Behavior ، وحرية التعبير ، والمواد الإباحية والرقابة ، وهو ما سوف نتناوله تفصيلاً على النحو التالى[١٠] :

السلوكيات الجديدة New Manners

إن البعض يعتقد أنهم لا يجب أن يلتزموا بقواعد السلوك لمجرد أنهم يمتلكون تكنولوچيا جديدة ، ولكن آداب السلوك أو «الإتيكيت» يجب أن تلحق بالتكنولوچيا . لقد شعر مستخدمو التليفون المحمول بامتهان الناس لهم لأنهم أرغموهم على الاستماع إليهم وهم يتحدثون فى تلك الأجهزة المحمولة فى المطاعم والحفلات الغنائية والموسيقية ، وحتى فى المحافل الأكاديمية كالمؤتمرات العلمية ومناقشات رسائل الماچستير والدكتوراه ...! كما أحس أولئك الذين يستخدمون التكنولوچيا الجديدة بنظـرات الناس التى تتوجه صوبهم من جراء انطلاق جرس التليفون المحمول أو جرس جهاز التتبع Pager .

وعلى أية حال ، ففى مثل هذه الحالات ، يمكن أن تستخدم التكنولوچيا أيضاً لحل المشكلات التى تخلقها ، فعديد من الأفراد يحملون أجهزة تليفونية وأجهزة تتبع تصدر اهتزازات Vibrations ، بدلاً من تلك الأجهزة التى تطلق أجراساً ، كما أن البعض يتلقى المكالمات الواردة مباشرة على خدمة للبريد الصوتى Voice - mail Service ، أو أى رقم آخر .

كما أن عديداً من المتعاملين حديثاً مع أجهزة الكمبيوتر والاتصالات ، تكون لديهم فى العادة مجموعة من الأسئلة التى غالباً ما تطرأ على أذهانهم Frequently asked questions (FAQ'S) ، ومن المتوقع أن يطرح القادمون الجدد هذه الأسئلة قبل الانضمام لأية ندوة من ندوات الدردشة Chat Forums عبر الإنترنت ، ولاشك أن قراءة الإجابة عن هذه الأسئلة سلفاً تمنع القادمين الجدد من تضييع وقت المجموعة باستعراض جهلهم .

وتتضمن بعض هذه التصرفات التى تثير المضايقات ، الاستخدام غير الصحيح لبرنامج الكمبيوتر الذى يدير الدردشة Chat Program ، أخطاء الهجاء ، تكرار النقاط التى طُرحت سلفاً ، أو مناقشة موضوعات لا تتناسب مع موضوع الندوة .

ويجد ثمة شئ يساعد فى ثقافة الاتصال المباشر Online Culture ، وهو استخدام الأيقونات Icons ، وهى رموز تدل على ما خلفها من مضمون ، مما خلق ثقافة من الرموز المتعارف على معانيها ، والتى يسهل تمييزها بعضها عن بعض ، لذا يجب الحرص على أن يكون هذه الأيقونات مفهومة بمختلف اللغات .

وفى هذه السبيل ، توجد مجموعة من الأيقونات يطلق عليها «أيقونات العواطف» Emoticons ، وهى تمثل تعبيرات مصورة للوجه ، وتعمل هذه الأيقونات على تمكين مستخدمى الاتصال المباشر من الحصول على تعبيرات الوجه Facial Expressions ، والتى يحاول الفرد نقلها للآخرين فى المحادثة العادية . وهكذا ، فإن هذه الأيقونات يمكن أن تعبر عن وجهة نظر معينة تعبر عن السعادة أو الأسف أو الصدمة ... الخ .

ولأن جماعات النقاش تعد من الأمور الجاذبة للأفراد ذوى الاهتمامات المتشابهة ، فإنه غالباً ما يكون لديها نمطها الخاص من آداب السلوك أو المراقبة الذاتية للسلوك . فبعد فترة قصيرة من الممارسة ، يستطيع الفرد أن يعرف أن كتابة العبارة كلها بحروف كبيرة CAPITAL LETTERS

يعنى الصراخ أو الشكوى والضجر ، كما أن طى الشاشة من خلال مسح الجزءين الأمامى والخلفى لمستند ما يشبه إنهاء المحادثة ، لأن هذا الإجراء يملأ الشاشة بخطوط من الحروف أو المسافات البيضاء ، حتى لا يستطيع الآخرون التحدث أو المناقشة ، وإذا كان تعليقك يلقى اعتراضاً أو طويلاً للغاية ، فإن الآخرين سوف يجعلونك تعلم ذلك .

حرية التعبير Free Speech

إن السنوات العشر الماضية تشير إلى أن حرية التعبير ، كناتج نهائى لسقوط الحواجز أمام تدفق المعلومات ، تتعرض لتآكل ملحوظ على الصعيد العالمى . فليس هناك ضمان بأن تكنولوچيا الاتصال الجديدة سوف تؤدى إلى عصر جديد مختلف ينطوى على المزيد من حرية التعبير ، فهناك عديد من المؤشرات تشير إلى طريق عكسى . ففى أول اختبار للنظام العالمى الجديد فى الخليج العربى تعرضت وسائل الإعلام الأمريكية ذاتها عديد من القيود ، التى اعترضت تقديم تغطية موضوعية ونزيهة لأحداث حرب الخليج الثانية .

وهكذا ، فقد بدت حرب الخليج الثانية ، من خلال التغطية المشوهة ، غير حقيقية لبضع مئات من ملايين المشاهدين حول العالم ، الذين شاهدوا الجسور والمبانى وهى تنهار . لقد صاحب حرب الخليج إحساساً بأن الحرب ما هى إلا خيال علمى غير حقيقى . لقد كانت هذه الحرب تبدو كأنها حرب نظيفة ، رغم أنها كانت مثل كل الحروب حرباً قذرة حافلة بالبؤس والألم والموت . ورغم أننا سمعنا وعلمنا بالبؤس والألم والموت ، إلا أن معظمنا لم يره أو يسمعه ، ولذلك فإننا لم نشعر به كما ينبغى ، ولعل هذا من مساوئ التغطية التى تم تقديمها للحرب .

وعلى العكس من تقييد حرية التعبير فى بعض مناطق العالم ، نجد أن حرية التعبير مصانة تتمتع بالحماية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك من خلال التعديل الأول الذى أُدخل على الدستور الأمريكى First Amendment . فقد تقرر المحكمة، بعد أن تكون قد تكلمت أنك قمت بالتشهير أو إلحاق الأذى بشخص ما ، وحينئذ تتم مقاضاتك بتهمة السب Slander (الكلام المنطوق Spoken speech) ، أو القذف libel (الكلام المكتوب Written speech) ، أو بتهمة الإزعاج والمضايقة المستمرة أو ما يُطلقون عليها «التحرش» Harassment .

ولكن مستخدم الكمبيوتر يمكن ألا يمثل أمام المحكمة مداناً بإحدى هذه الاتهامات ، فقد حكمت المحكمة الفيدرالية بأن خدمة الكمبيوتر لايمكن أن تتم مقاضاتها بسبب رسالة تم بثها أو نقلها عن طريقها . وعلى أية حال .. فإن الأفراد الذين يستخدمون شبكة كمبيوتر لا يمتعون بالحماية نفسها ، من حيث مقاضاتهم للآخرين بتهمة القذف .

وعلي الرغم من ذلك : فقد قضت المحكمة الأسترالية العليا Australian Supreme Court بأن قيام أسترالى بقذف مواطنه فى رسالة عبر الكمبيوتر يعد أمراً موجباً لإقامة دعوى قضائية لذلك ، فإنه من الحكمة والحصافة وحسن تدبر الأمور ، ألا تقول أى شئ عبر البريد الإلكترونى لا تستطيع أن تقوله علانية .

وعلى مستوى العالم العربى ، فإن العقد الماضى الذى شهد تدفقاً أفضل للمعلومات ، لم يشهد تغيراً فى أوضاع حرية التعبير التى تعرضت لانتكاسة فى ظل تنامى القومى المحافظة التى تتربص بحرية التعبير ثقافياً واجتماعياً ، وهى مساحة من الحرية كانت بعض الأنظمة السياسية فى العالم العربى قد تسامحت فيها إلى حد ما . ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أنه فى بعض الأحيان ، كان الصمت الرسمى وسيلة لدعم موقف القوى المحافظة من حرية التعبير فى إطار التوازنات السياسية .

ومع هذه الصورة التى قد تبدو محبطة إلى حد ما ، فإن هناك بعض الإيجابيات الناتجة عن التدفق الحر للمعلومات فى العالم العربى ، وهى وإن كانت بطيئة الخطى ، إلا أنها قائمة :

أولاً : إن حرية التلقى والانتقاء بين وسائل الإعلام والمعلومات أصبحت حقيقة واقعة فى العالم العربى . ولن تنجح أية جهود فى الحد من تعرض الجمهور العربى لهذه الوسائل ، إلا من خلال بديل يصمد أمام المقارنات اليومية التى يعقدها الجمهور بين القنوات العربية والأجنبية . ولعل أحد الشروط الضرورية لهذا البديل هو إتاحة المزيد من حرية المعالجة مع التوسع فى القضايا التى تتناولها المعالجات الإعلامية . وإذا كانت حرية التلقى اليوم قائمة بشكل جماهيرى فى المحتوى الترفيهى ، فإن مستوى وجودها فى المجالات الأخرى سوف يرتفع . وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى يقود فيها الجمهور العربى خطى تطوير وسائل الإعلام .

ثانياً : إن فترة التسعينيات من القرن العشرين ، بما وفرته من قنوات بديلة للمعلومات كانت إيذاناً ببدء نهاية عصر الاحتكار الحكومى لتدفق المعلومات فى المجتمع العربى . وإذا أضفنا إلى ذلك تقلص الدور الاقتصادى للحكومات فى معظم البلدان العربية فى ظل اتجاهات اقتصاد السوق فى المستقبل ، فإنه من المحتمل على المدى البعيد أن يتقلص دور الدولة فى توجيه النشاط العام فى المجتمع العربى . فالنمو القائم فى القوى الاجتماعية والاقتصادية فى العالم العربى سوف تكون له انعكاساته الملحوظة فى كسر احتكار الدولة لتدفق المعلومات داخل الدولة وسيطرتها على صناعة الإعلام ، وتوجد ثمة إرهاصات لذلك فى عدد من الدولة العربية .

ثالثاً : كان لتدفق المعلومات عبر الحدود العربية تأثير ملحوظ فى تنامى قوة الرأى العام العربى ، وقد أشار الرئيس مبارك إلى ذلك فى أحد أحاديثه لشبكة CNN بقوله : «ليس هناك حاكم عربى الآن يستطيع تأييد خطط الولايات المتحدة لضرب العراق ؛ لأن الناس أصبحت على علم تام بما يحدث للشعب العراقى من خلال القنوات الفضائية» .

رابعاً : إن هناك عديداً من المؤشرات على تغير ملحوظ فى مستوى الأداء المهنى لوسائل الإعلام العربية المطبوعة والمرئية على السواء بسبب المنافسات الإعلامية القائمة محلياً وإقليمياً وعالمياً ، ومن الطبيعى أن يتطلب الأداء المهنى تغييراً فى كمية المعلومات التى تتدفق عبر وسائل الإعلام العربية ونوعيتها ،

باعتبار أن ذلك هو ركيزة التطوير الأساسية فى الأداء الإعلامى .

هذا ، وينطوى التدفق الحر للمعلومات على عديد من الفرص أمام الإعلام العربى :

١ – إن توافر المعلومات للجمهور من مصادر متعددة يضع الإعلام العربى فى موقف العجز إن لم يتمكن من الاستجابة لهذه الظاهرة بزيادة المعلومات بالنوعية المطلوبة فى ظل المنافسة ، فحينما يتزامن وصول المعلومات إلى الجمهور وصناع القرار ، فإن استجابة صناع القرار لهذه المعلومات سوف تتأثر بوجود المعلومات لدى الجمهور . ومن ثم ، فإن فرصاً فريدة متاحة الآن أمام الإعلام العربى لتوسيع هامش الحرية ، خاصة وأن الواقع الإعلامى العالمى يدعم هذا الاتجاه .

٢ – إن تدفق المعلومات يوفر للإعلام العربى ذاته موارد إعلامية لم تكن متاحة له من قبل . وهذه الموارد المعلوماتية يمكن أن تدعم تطوير الأداء الإعلامى العربى ، والتخلى عن ظاهرة نقص المعلومة فى الخطاب الإعلامى العربى ، حيث ظلت البلاغة اللغوية بديلاً تقليديًا عن نقص المعلومة فترات طويلة ، ولن يتمكن الإعلام العربى من الإفادة من موارد المعلومات، دون إعادة تأهيل الإعلاميين العرب للتعامل مع هذه الظاهرة الجديدة .

الموارد الإباحية Explicit Material

إن أجهزة الكمبيوتر تعد بالطبع مجرد وسيلة من وسائل الاتصال ، ولذلك فيجب ألا نندهش إذا ما استخدمها الناس للحديث عن الجنس . وقد كفل التعديلان الأول والرابع من الدستور الأمريكى الحماية للمراهقين .

ومن هنا ، توجد أقسام للدردشة chat sections وتبادل الأخبار عبر شبكات المعلومات عن الجنس بحرية كاملة بين المراهقين . ولكن أحياناً ما يتم بث صور عارية للأطفال child pornography ، ورغم أن هذا العمل لا يتمتع بأية حماية ، إلا أنه يصعب تتبع مصدره فى الوقت نفسه .

وتوجد ثمة مشكلة تتعلق بالأطفال الذين يستطيعون الوصل إلى المحادثات الجنسية Sexual conversations ، ويتبادلون صور المعاشرة الجنسية Hardcore pictures ، أو يصادفون مراهقين يغرونهم على مقابلتهم . ولذلك ، ينصح الآباء بألا يستخدموا خدمة مباشرة Online Service كجليسة أطفال إلكترونية Electronic baby sitter ، فالناس فى الخدمة المباشرة قد لا يبدون مثلما يظهرون فى الحياة العامة .

فأحياناً ، قد تبدو الرسالة وكأنها مرسلة من فتاة تبلغ اثنتى عشر عاماً ، فى حين أنها قد تكون مرسلة فى الحقيقة من رجل فى الثلاثين من عمره. وهكذا ، يجب أن يتم تحذير الأطفال بألا يقوموا مطلقاً بإفشاء معلومات شخصية ، وأن يخبروا آباءهم إذا ما تلقوا بريداً إلكترونيًا أو رسائل تجعلهم يشعرون بعدم الراحة .

الرقابة Censorship

إن حرية التعبير ليست دوماً نتيجة منطقية للتدفق الحر للمعلومات فى غيبة التنمية والبناء

السياسى والتنظيم الاقتصادى والوعى السياسى القائم. فالتدفق الحر للمعلومات فى عصر العولمة لن ينهى عصر الرقابة على المعلومات ، فلكل عصر أدواته فى الرقابة . ففى عصر التدفق الالكترونى للمعلومات يظهر مفهوم جديد للرقابة ، حيث يمكن باستخدام تكنولوچيا متطورة تعديل مسار المعلومات أو حجبها أو التلاعب بها دون تعرف مصادر هذه العمليات .

إن الرقباء لن يرحلوا ، ففى عالم الإنترنت الذى سقطت فيه الحدود بين الدول ، تمارس لعبة القط والفأر بين الحكومات الآسيوية والمواطنين الذين يخاطرن بالقبض عليهم من أجل حرية الصول إلى الشبكة العالمية . وتحاول دولتا الصين وسنغافورة إعاقة وصول مواقع معينة على الشبكة ، هى المواقع التى تحوى مضموناً سياسياً أو جنسياً لاترغبه الدولتان . كما تقوم هاتان الدولتان بالحد من عدد الشركات العاملة فى مجال توزيع خدمة الإنترنت على المواطنين ، وتفرضان عليها استخدام مرشحات إلكترونية Electornic filters لإعاقة المواقع غير المرغوب فيها .

وقد يتحايل بعض المنشقين على قرار إعاقة بعض المواقع من خلال إنشاء مواقع شخصية Home pages عبر العالم ، لكى تصبح وسيلة شحن للبريد . كما أن عناوين المواقع يمكن تغييرها لتحديد قرار الإعاقة . ويمكن القول إنه ليس من السهل إعاقة الإنترنت ، إذا كان الشخص عاقد العزم على أن يدخل إلى الشبكة ، كما أن الوصول إلى الشبكة يتنامى بشدة عبر العالم كل عام .

وعلى مستوى الإعلام المرئى ، نجد أن التليفزيون الروسى بث الفظائع التى جرت فى الشيشان Chechnya ، ومشاهد للكلاب الجائعة وهى تحوم حول الجثث فى جروزنى Grozny عاصمة الشيشان . ولعدة عقود ، فإن مثل هذه المناظر ، التى لم يكن مسموحاً بتصويرها فوتوغرافيًا أو بثها تليفزيونيًا ، لم تكن لتقض مضجع السيطرة الصارمة للكرملين ، ولكن الأمور لم تعد كذلك ، فروسياً وسائر دول العالم تراها الآن كاميرات التليفزيون ، وتسجل أحداثها على شرائط الفيديو ، وتنقل وقائعها عبر الأقمار الصناعية ، وتعرف هذه الوقائع على شاشات التليفزيون عبر العالم .

ومن الأمور المتعارف عليها أن التشويش على إشارة تليفزيونية منقولة عبر القمر الصناعى أصعب كثيراً من التشويش على إشارة الراديو. وهكذا ، فإن قوة أدوات الاتصال الجماهيرى قامت لأول مرة فى تاريخها بتقويض السياسة الوطنية وإعادة تشكيلها ، وهو ما بدا واضحاً عبر شوارع المدن الأمريكية فى أثناء حرب ڤيتنام ، وهو ما صار أكثر وضوحاً فى الاتحاد السوڤيتى السابق منذ سنوات قليلة مضت .

وبينما بدا أن وسائل الإعلام الجديدة سوف تؤدى إلى تدعيم قوة الحكومات (كما ناقش ذلك چورج أورويل George Orwell ، على سبيل المثال ، فى كتابه الشهير 1984) ، فإن تأثير هذه الوسائل يسير على النقيض من ذلك تماماً ، من حيث كسر احتكار الدولة للمعلومات ، اختراق الحدود الوطنية ، السماح للشعوب بأن ترى وتسمع كيف يؤدى الآخرون الأشياء بشكل مختلف . كما أن هذه الوسائل قد جعلت الدول الفقيرة والغنية واعية بالفجوة بينها ، بالمقارنة بما كان متاحاً منذ نصف قرن مضى ، مما أدى إلى التحفيز على الهجرة الشرعية وغير الشرعية .

ثالثاً: الخصوصية Privacy

إن الخصوصية هى حق الأفراد فى عدم إفشاء أو نشر معلومات عن أنفسهم ، فثمة أمور تدخل فى عداد الأمور الخاصة مثل الإدلاء بصوتك فى الانتخابات ، وماذا تقول فى خطاب مرسل من خلال البريد . وعلى أية حال ، فإن السهولة التى قد تتوحد بها قواعد البيانات وخطوط الاتصالات قد وضع الخصوصية تحت ضغوط هائلة وصعبة .

والآن ، من السهل أن تُكتشف عنك أو عن أى شخص آخر أشياء معينة ، فباستخدام جهاز الكمبيوتر المنزلى الخاص به ، حصل أحد الصحفيين الأمريكيين على معلومات عن التقرير الائتمانى الخاص بدان كويل Dan Quayle نائب الرئيس الأمريكى السابق ، وهذا التقرير يفشى كل تعاملات كويل المالية ، بما فى ذلك اسم المحل الذى يبتاع منه ملابسه بصفة أساسية ، وكل ما كان على ذلك الصحفى أن يفعله هو أن يدفع خمسين دولاراً لبائع معلومات Information Seller ، ويكتب اسم «دان كويل» على الكمبيوتر ليحصل على بغيته من المعلومات[١١] .

وفى فترة السبعينيات ، طورت الإدارة الأمريكية للصحة والتعليم والرفاهية مجموعة من خمس ممارسات عادلة فيما يتعلق بالمعلومات ، وقد تم تبنى هذه القواعد من خلال عدد من المنظمات العامة والخاصة . وقد أدت هذه الممارسات أيضاً إلى سن عدد من القوانين لحماية الأفراد من اقتحام الخصوصية Invasion of privacy ، ولعل أهم هذه القوانين قانون الخصوصية الفيدرالى Federal Privacy Act ، أو قانون الخصوصية الصادر عام ١٩٧٤ .

ويمنع قانون الخصوصية الصادر عام ١٩٧٤ اللاحتفاظ بملفات سرية للأشخاص من خلال الوكالات الحكومية أو غيرها . ويمنح القانون الأفراد حق رؤية سجلاتهم ، ومعرفة كيفية استخدام المعلومات ، وتصحيح الأخطاء التى قد يجدونها فى تلك السجلات .

وثمة تشريع آخر له دلالة خاصة ، وهو قانون حرية المعلومات Freedom of Information Act ، والذى تم إقراره عام ١٩٧٠ ، ويسمح هذا القانون للمواطنين الأمريكيين العاديين بالوصول إلى البيانات المجموعة عنهم من خلال الوكالات الحكومية الفيدرالية[١٢] .

وتقوم معظم قوانين الخصوصية بمراقبة سلوك الوكالات الحكومية فقط . وعلى سبيل المثال ، فإن قانون مضاهاة الكمبيوتر وحماية الخصوصية Computer Matching and Privacy Protection Act الصادر عام ١٩٨٨ يمنع الحكومة من مقارنة سجلات معينة ؛ للتأكد من مضاهاة المعلومات الواردة بها[١٣] .

ومن الأمور المثيرة للقلق ، بصفة خاصة ، فيما يتعلق بالخصوصية ، الأمور المرتبطة بالمعاملات المالية ، والسجلات الإجرامية ، والصحة ، والتوظيف ، والتجارة ، والاتصالات ، وهو ما سنتعرض له بشئ من التفصيل[١٤] :

المعاملات المالية Finances

إن مجالى البنوك والائتمان يعدان صناعتين تتميزان بالخصوصية ، وذلك لوجود قوانين الخصوصية الفيدرالية الأمريكية التى تقر ذلك

صراحة ، فقانون Fair Credit Reporting Act الصادر عام ١٩٧٠ يسمح للفرد بالوصول إلى سجلاته الائتمانية ، ويعطيه الحق فى الاعتراض على هذه السجلات ، وإذا أنكر ائتماناً ، فإن هذا الوصول للسجلات والاطلاع عليها يجب أن يُمنح له دون أية رسوم . كما أن قانون الحق فى خصوصية المعاملات المالية Right to Financial Privacy Act الصادر عام ١٩٧٨ يضع قيوداً على الوكالات الفيدرالية التى ترغب فى البحث فى سجلات العميل لدى البنوك .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن قواعد البيانات الائتمانية للمستهلك Consumer Databases تضم ملفات متعمقة عن التاريخ الائتمانى لكل فرد تقريباً . ويمكن الوصول إلى هذه الملفات من خلال أى فرد يدفع رسم الاشتراك. ومن هنا ، يمكن الحصول على التفاصيل الكاملة لكل شيك قمت بتوقيعه ، وكل الديون المتراكمة عليك ، وذلك من خلال استخدام الكود الصحيح للوصول إلى قاعدة البيانات .

السجلات الإجرامية Criminal Records

يضم مركز معلومات الجريمة الأمريكى National Crime Information Center مئات الملايين من الملفات للأمريكيين الذين خرقوا القانون حتى ولو لأسباب بسيطة أو طفيفة . وقد يكون كم كبير من المعلومات غير صحيح، وقد يكون قديماً ، أو قد يكون لشخص لآخر بالاسم أو العنوان نفسه .

وحتى إذا تم اكتشاف ذلك ، فإن الأخطاء يمكن أن تستمر وتتصاعد لسنوات ، فالخطأ الذى يتم تصحيحه فى ملف ما قد يظل دون تصحيح فى ملف آخر ، وقد يعود الخطأ نفسه إلى مصدره الأصلى بعد تصحيحه بسنوات . ولا غرو أن عديداً من المواطنين الأبرياء قد يتم إيداعهم السجن بسبب معلومات خاطئة تم استقاؤها من قاعدة بيانات .

ولا شك أن حفظ السجلات الإجرامية على أجهزة الكمبيوتر يعد مصدراً مهماً للقلق ، حيث أن عديداً من أصحاب الأعمال يتحفظون على الاستعانة بأى شخص له تاريخ إجرامى . فعلى الرغم من أن الأفراد قد سددوا ديونهم للمجتمع بقضاء فترة العقوبة ، إلا أن جرائمهم تعيش وتستمر فى قواعد البيانات . وبناء على استطلاع أجرته مؤسسة «هاريس» فإن حوالى خمس المراهقين فى الولايات المتحدة يعتقدون أنهم كانوا ضحية لاقتحام الخصوصية عن طريق الكمبيوتر .

الصحة Health

لا توجد ثمة قوانين فيدرالية فى الولايات المتحدة الأمريكية تحمى السجلات الصحية ، باستثناء تلك القوانين المتعلقة بتلقى العلاج من الإدمان والإسراف في المشروبات الكحولية ، والعناية ضد الأمراض العقلية ، أو السجلات التى توجد تحت كفالة الحكومة الفيدرالية .

وبالطبع ، تستطيع شركات التأمين أن تلقى نظرة على بيانات الفرد الصحية ، ولكن يستطيع الآخرون أن يفعلوا الشئ نفسه . فعند محاولة الزوجة الحصول على الطلاق ، أو رفع دعوى ضد صاحب عمل قام بفصل أحد العاملين لديه فصلاً لا يقوم على أساس وواضح ، قد يقوم المحامى بتقديم مذكرة للاطلاع على السجلات الطبية للفرد على أمل استخدام مشكلة إدمان الكحوليات ، أو ما شابه ذلك

ضده . وطبقاً لنتائج إحدى الدراسات الأمريكية ، فإن أصحاب الأعمال عندما يكون لديهم معلومات عن الصحة الشخصية ، فإنهم غالباً ما يستخدمون هذه المعلومات فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمالة .

ومن هنا ، فإن أفضل استراتيجية يمكن أن يتبعها العامل أو المستخدم هى ألا يقوم ، بشكل روتينى ، بملء الاستقصاءات المتعلقة بصحته وتاريخ بعض الأمراض التى يعانى منها . ويجب أيضاً ألا يقوم المستخدم بإخبار أى عمل يلتحق بأكثر مما يحتاجه هذا العمل لكى يعرفه عن الأمور الصحية . ومن الممكن أن يطلب المستخدم من الطبيب بأن يفشى فقط القدر الأدنى من المعلومات عن أموره الصحية . وفى النهاية ، فإن الفرد يجب أن يطلب نسخة من سجلاته الطبية ، إذا كانت لديه أية شكوك حول المعلومات الموجودة لدى طبيبه أو مستشفاه ، وذلك للاطلاع عليها وتصحيح ما قد يرد بها من أخطاء .

التوظيف Employment

إن أصحاب العمل الخاص هم أقل الفئات التى تخضع الرقابة من خلال التشريعات المتعلقة بالخصوصية فى الولايات المتحدة . فإذا تقدم فرد لوظيفة ، على سبيل المثال ، فإن ثمة «خدمة لفحص الخلفية» Background - checking service قد تتحقق من خلفيتك التعليمية وتاريخك الوظيفى . وقد تقوم هذه الخدمة أيضاً بالاطلاع على سجلاتك الائتمانية ، والمخالفات المتعلقة بقيادة سيارتك ، ودعاوى العمل ضدك للحصول على تعويضات ، وسجلك الإجرامى إن وجد ...!!

واليوم ، تستخدم التليفونات المحمولة ، ونظم تحديد المواقع عبر العالم global positioning ، وبطاقات تحديد الهوية النشطة active badges (فالمشبك الموجود فى بطاقات تحديد الهوية يتصل بالأجهزة الحساسة التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء لتحديد مكان العامل خلال مبنى ما) ، وبذلك فإن البطاقات النشطة تستطيع أن تخبر صاحب العمل عن مكانك بالضبط .

كما أن بعض البرامج يمكن أن تقوم بإحصاء عدد الضربات على مفاتيح لوحة الكمبيوتر ، وتقوم برامج أخرى بتتبع أرقام المبيعات حتى يمكن مراقبة الإنتاجية فى العمل . كما أن البريد الإلكترونى قد لا تتم قراءته فقط من قبل المستلم ، ولكن ربما يقوم رئيسه فى العمل بالاطلاع عليه ، إذا كانت سياسة الشركة تسمح بذلك .

التجارة Commerce

إن شركات تسويق المنتجات المختلفة قد ترغب فى تعرف المستهلك المحتمل لمنتجاتها . وعلى سبيل المثال ، فإن فيرجينيا سوليفان Virginia Sullivan ، تلك المدرسة المتقاعدة ، كانت تقوم كل شهر بوزن البريد الذى تتلقاه من شركات التسويق ، والذى لا يهمها فى شئ ، وقد وجدت بعد أحد عشر شهراً أنها قد تلقت حوالى ثمان وتسعين رطلاً من ذلك البريد التافه Junk mail . وقد لاحظت سوليفان أيضاً أن شركات البريد التافه تعرف عنها تفاصيل كثيرة ، وذلك فيما يتعلق بحياتها الخاصة مثل سنها وعاداتها الشرائية ... وما شابه ذلك .

ويقول إيريك لارسون Erik Larson مؤلف كتاب «المستهلك العارى» The Naked

Consumer إننا أحياناً ما نفشى أسراراً عن أنفسنا ، لتقوم بعد ذلك شبكة الاستخبارات التسويقية Marketers; intelligence بجمع هذه الأسرار بصورة آلية . ويطرح لارسون عدداً من الاقتراحات لكى يتجنب الفرد وضع اسمه فى قوائم بريد شركات التسويق ، ومن بين هذه الاقتراحات :

١ – لا تعط رقم تليفونك لأية جهة ، ويجب أن تتردد عندما يطلب منك تدوين رقم تليفونك على شيك ، لأن هذا الأمر ليس من شأن البنك الذى يتعامل معه .

٢ – لا تعط رقم التأمين الاجتماعى لأى فرد ، إذا لم يكن ذلك مطلوباً بمقتضى القانون الفيدرالى .

٣ – تعلم أن تقول (لا) لمندوبى شركات التسويق ، وتعلم أن تكون وقحاً معهم لأنهم يستغلون أنك مهذب ، ليعبروا إليك من خلال هذا المدخل لأننا تعلمنا أن نحدث الناس بلطف فى التليفون ، ولا مانع من إنهاء المكالمة فى الحال إذا لم تكن تريد الشراء .

٤ – لا تملأ بعض الاستقصاءات التى تجريها شركات التسويق عن أسلوب حياة المستهلكين ، لأن هذه البيانات قد يتم استغلالها ضدك فيما بعد .

٥ – لا تعط أبداً رقم بطاقة الائتمان لأى مندوب شركة تسويق عبر التليفون ، بل اطلب من مثل هؤلاء الأشخاص أن يرسلوا لك قائمة بأسعار المنتجات .

وباستثناءات قليلة ، فإن القانون لا يمنع الشركات من جمع معلومات عن الفرد لغرض ما ، هذه المعلومات دون الحصول على موافقة هذا الفرد لغرض آخر تماماً . وقد يتم استقاء هذه المعلومات من مصادر عامة مثل سجلات تراخيص قيادة السيارات ، أو من مصادر تجارية من خلال التعامل ببطاقات الائتمان ، انظر شكل ٢ .

ولعل الاستثناء الوحيد ، فى هذه السبيل ، هو قانون حماية خصوصية الفيديو Video Privacy Protection Act الصادر فى الولايات المتحدة عام ١٩٨٨ ، حيث يحظر هذا القانون على تجار التجزئة إفشاء تأجير أفلام الفيديو للأشخاص ، دون موافقة العميل أو صدور أمر من المحكمة بذلك .

وللأسف ، فإن بعض الشركات التى تحتفظ بالبيانات الشخصية قد اتخذوا قراراً ضمنيًا وتعسفيًا بأن كل فرد يعتبر ضمن قوائمهم بصورة آلية إذا لم يطلب بأن يتم استبعاد اسمه من هذه القوائم . وهنا يثور السؤال لماذا لا يوجد قانون يجعل المستهلكين بمنأي عن كل القوائم إذا لم يطلبوا أن تتضمن هذه القوائم أسماءهم ؟ ، وقد تبنى الكونجرس الأمريكى هذا المدخل ، إلا أن جماعات الضغط التى تعمل لصالح شركات التسويق المباشر - Direct marketing companies اعترضت على ذلك ، لأن هذا المدخل قد يجعل هذه الشركات تتوقف عن العمل .

الاتصالات Communications

إن عدداً من الناس كانوا غير محظوظين باستخدام التليفونات المحمولة ، فموقع نجم كرة القدم الأمريكية «أوجى سمسون» O. J. Simpson ، المتهم بقتل زوجته السابقة وصديقها، تم تعرفه من خلال البوليس عبر الإشارات

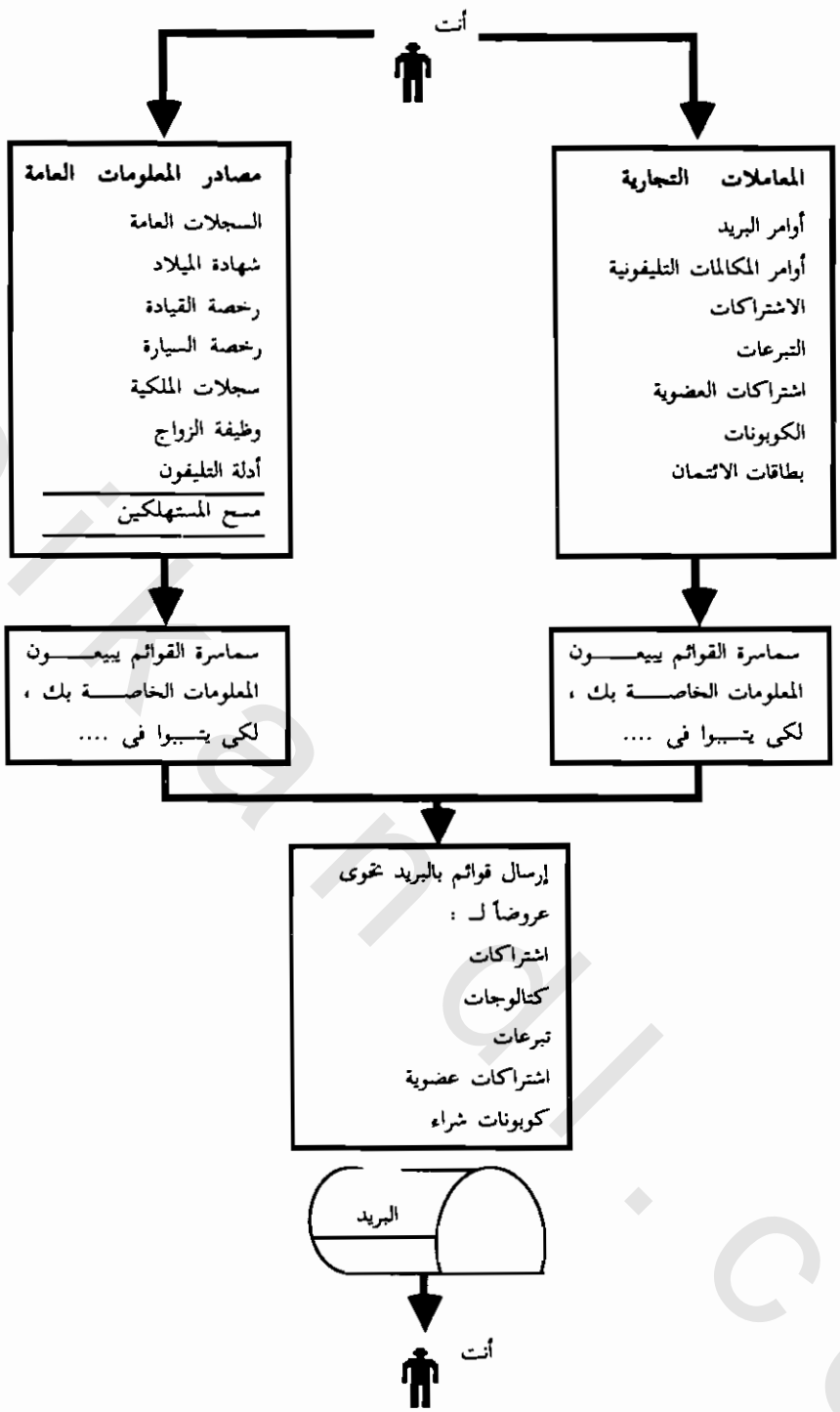

شكل (٢) : البريد التافه وكيف يوضع اسمك فى قوائم هذا النوع من البريد ، حيث يتم جمع البيانات الشخصية من مصادر عامة أو تجارية ، ليقوم جامعو البيانات والسماسرة ببيع اسمك لعديد من الشركات التسويقية وخدمات البريد المباشر المختلفة .

اللاسلكية لجهاز تليفونه المحمول . وفى الواقع ، فإن أى فرد يستخدم جهاز استقبال موجات تقع فى نطاق يتراوح بين ٨٠٠ ، ٩٠٠ ميجاهيرتز يمكنه التنصت على محادثات التليفون المحمول .

ويقر قانون خصوصية الاتصالات الإلكترونية Electronic Communications Privacy Act الصادر فى الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ ، بأن اختلاس السمع على المحادثات الخاصة غير قانونى دون وجود أمر محكمة . وعلى أية حال ، فإن السلطات المسئولة لا يوجد لديها ثمة وسيلة للقبض على الأفراد ، الذين يستخدمون أجهزة التنصت Scanner Recievers .

ولكن رغم أنه من غير القانونى التنصت على المحادثات التليفونية ، فإن قانون خصوصية الاتصالات الإلكترونية لا يطبق على البريد الإلكترونى الداخلى لأية شركة ، حيث أن للشركة الحق فى الاطلاع على الرسائل الخاصة الموجودة على شبكة الكمبيوتر التابعة لها . وكسياسة عامة ، فإنه من باب الحكمة أن يفترض المواطن الأمريكى أنه لا توجد أية خصوصية داخل الشركة التى يعمل بها .

رابعا: بناء العلاقات الشخصية

The Structure of Personal Relationships

سك مارشال ماكلوهان عالم الاتصالات الكندى مصطلح «القرية العالمية» The Global Village عام ١٩٦٤[١٥] ، لوصف التغيرات فى التكنولوجيا الاتصالات ، والتى بدت له أنها تقوم برسم العالم بأكمله معاً ليصبح نوعاً ما من المدينة الصغيرة التى يتم ربطها إلكترونيًا Electronically mediated small town .

وبهذا ، أصبح من السهل فى عصر الاتصال الإلكترونى خلق «مجتمعات سيكولوجية» Psychological comunicaties ، تقوم بتوسيع نطاق علاقاتنا عبر الوقت والمسافة ، حتى يتم فى النهاية خلق «مجتمعات افتراضية» Virtual Communities التى تتكون من الناس الذين نعرفهم فقط من خلال شبكات الاتصال ، ولعل هذا الاتجاه هو ما يقودنا إلى مجتمع ما بعد الحداثة Postmodern society[١٦] .

وفى مجتمع ما بعد الحداثة تذوب الدول لتصبح كيانات هلامية ، حيث يصبح الناس أقل اهتماماً ومشاركة فى الأحداث التى تدور فى العالم المحيط بهم ، كما قد يحدث العكس أيضاً ، لأن تكنولوجيا المعلومات قد تكشف علاقات الناس فى مجتمعاتهم المحلية ، وذلك من خلال فتح قنوات اتصال ، والدفع بأساليب جديدة لتنسيق الأنشطة المختلفة وتدعيم العلاقات .

ومن المؤكد أن ثمة شيئاً مفقوداً عندما نستخدم الاتصال عبر وسائط إلكترنية ، ومن أمثلة هذه الأشياء المفقودة التلميحات غير اللفظية ، كتعبيرات الوجه وحركات الجسد والإيماءات ، والتى تساعدنا فى فهم المعانى الأكثر عمقاً للكلمات ، وهذا هو مفهوم الحضور الاجتماعى Social Presence ، الذى يختلف عن الحضور النسبى الذى يعنى غياب التلميحات المحسوسة ، التى تساعد فى نقل المعانى المستترة[١٧] .

ومن هنا ، فإن المؤتمرات التى تُعقد بواسطة الكمبيوتر Computer - mediated conference تتمتع بمستوى منخفض للحضور الاجتماعى ، وليست المكالمات التليفونية بأفضل فى هذه السبيل، ورغم ذلك فإنها مفيدة لدعم العلاقات بين الأفراد لأنها أنشئت لنقل المعلومات . ويقول معظم الأفراد إنهم يفضلون الاتصال المباشر وجهاً لوجه ، عندما يكون لديهم شيئا مهما يريدون قوله ، ولكنهم يفضلون التليفون عندما يبحثون عن معلومات . ويدخر الكثيرون الأخبار السيئة للاتصال الشخصى المباشر ، وذلك على العكس من الأخبار الطيبة[١٨] .

ولعل هذا ما يتوافق مع نتائج الدراسات السابقة والتى توضح أن وسائل الإعلام ذات الحضور الاجتماعى المنخفض تعد كافية للبحث عن المعلومات وحل المشكلات ، ولكنها أقل فعالية عند حسم الصراعات أو تكوين انطباعات عن المعارف الجديدة .

خامساً: الأسر المفتتة عن طريق الاتصال Separated by Communication

إن وسائل الإعلام المجزأة Chopped - up media لابد وأن تعكس نمط الأسرة التى تقطعت الروابط بين أفرادها . إن الأسر المتكاملة التى كان أفرادها يعيشون تحت سقف واحد كانت تمثل معياراً ، فى وقت ما ، عندما كانت الخيارات المتعلقة بوسائل الاتصال محدودة واليوم ، فإننا حيث نرى خيارات وسائل الاتصال تتسم بالمحدودية، كما هو الحال فى الأنظمة الشمولية – فإننا نجد عديداً من الأسر المتكاملة التى تعيش تحت سقف واحد . وليس من قبيل الصدفة أن المجتمعات الشمولية قامت بتعظيم مفهوم الأسرة التقليدية ، لأن هذا يساعدها على إحكام قبضتها على المجتمع المدنى .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن الأسر المفتتة Broken families والشقق التى يقطنها فرد واحد تعد نتاجاً لمجتمع يزخر بعديد من الخيارات . ففى المنزل الحديث الذى تقطنه أسرة ذات نواة واحدة nuclear family (أبوان وأطفال) ، نجد أن كل فرد فى الأسرة أصبحت له وسائله المنفصلة للوصول إلى مصادره الاتصالية الخاصة .

وبحلول عام ١٩٩٣ ، كان ٣٧ ٪ من الأطفال الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ – ١١ عاماً لديهم أجهزة التليفزيون الخاصة بهم ، ووصلت هذه النسبة إلى ٤٩ ٪ بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ – ١٣ عاماً ، فى حين بلغت هذه النسبة ٥٤ ٪ بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ – ١٥ عاماً[١٩] .

إن أجهزة الراديو صُنعت بحيث يكون صوتها عالياً ، ولذلك بدأت سماعات الأذن تقفز إلى رؤوس الشباب لضمان عدم سماع أفراد العائلة الآخرين لما يسمعه هؤلاء الشباب . كما أصبح أفراد العائلة يدسون أنوفهم بعمق فى مجلاتهم وكتبهم ، وصارت وسائل الإعلام الوسائل المقبولة اجتماعياً للهروب من أفراد الأسرة الآخرين بدرجة أكبر من سماعات الأذن[٢٠] .

لقد أصبحت الأسرة الأمريكية لا تتناول وجبة المساء من خلال الحديث عن أفكار معينة ، ولكن تناول الوجبة أمام التليفزيون يعد الآن أفضل بالنسبة لثلثى العائلات الأمريكية، لدرجة أن محلات السوبر

ماركت تتعاون فى هذه السبيل بتخصيص قسم لتناول الوجبات أطلقت عليه "TV dinners"[٢١].

وهكذا ، فإنه من خلال وسائل الإعلام ، تحولت بعض المجتمعات فى الدول المتقدمة من الرابط القائمة على أساس الدم والزواج والجيرة إلى شبكات من الجماعات ذات المصالح networks of interest groups ، والتى يمكن ألا يكون لأفرادها وجه أو صوت معروف . وفى بعض الأحيان ، تكون هذه الجماعات مجرد أفراد نتحدث معهم فى التليفون ، أو نرسل لهم بريداً إلكترونيًا ، أو نبعث لهم بعض الملاحظات بالفاكس ، أو نحاول إيجاد أية وسيلة أخرى ملائمة لتبادل الرسائل معهم دون أن نلقى ، ولو بنظرة واحدة ، على وجوههم .

إن المستقبل يحمل معه المزيد من الخيارات والبدائل . ولابد أن ندرك أننا نعيش فى خضم تحول أساسى وجوهرى فى كيفية حصول الأفراد على المعلومات والترفيه ، وفيما يختارون الحصول عليه . ويجب ألا يعتقد البعض فى مصر أننا بعيدون عن ذلك ، لأننا فى الوطن العربى كما فى الصين والسعودية وإيران والكويت والمكسيك نقطن حارات أو أزقة فى القرية العالمية ، التى تربطها جيداً وسائل الاتصال .

الهوامش

1 - A. Belinfante : "Telephone penetration and household and family characteristics", (Washington : Federal Communication Commission, May 1989).

2 - R. Koninski : "Computer use in the United Stated", Current Population Reports, Series P. 23, No. 155, (Washington : Government Printing Office, 1988).

3 - See :

- M. J. Davidson and C. L. Cooper : Women and Information Technology, (New York : Wiley, 1987).

- J. Zimmerman : "Some effects of the new technology on women", in M. D. Ermann, M. B. Williams and C. Gutierrez; Computer, Ethics and Society, (New York : Oxford University Press, 1990).

4 - Joseph Straubhaar and Robert LaRose : Communications Media in the Information Society, (New York : Wardsworth Publishing Company, 1997), pp. 437, 439.

5 - D. Hayes : Beyond the Silicon Curtain, (Boston : South End Press, 1989).

6 - Ibid.

7 - J. Salvaggio and J. Bryant : Media Use in the Information Age, (New

Jersey : Erlbaum, 1989).

8 - Brian K. Williams and Others : Using Information Technology, A practical Introduction to Computer & Communications, (Chicago : Richard Irwin Inc., 1995), p. 611.

9 - Ibid, p. 611.

١٠ – انظر بالتفصيل :

– حمدى حسن : «الإعلام العربى ، الفرص والتحديات فى النظام الإعلامى الجديد» (القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، المؤتمر العلمى الأول «الإعلام العربى وتحديات العولمة» ، ١١ أبريل ١٩٩٩) .

- Brian Williams and Others : Using Information Technology, Op. cit., pp. 611-613.

- Irving Fang : A History of Mass Communication, Six Information Revolutions, (Boston : Focal Press, 1997), pp. 217, 218, 222.

- Everett M. Rogers : Communication Technology : The New Media in Society, (New York : The Free Press, 1986), p. 42.

- Tosca Moon Lee : "Smiling Online", PC Novice, Dec. 1993.

- Paul Kennedy : Preparing for the Twenty-First Century, (Toronto : Harper Collins Publishers Ltd., 1993), p. 333.

11- Brian Williams and Others Using Information Technology, Op. cit., p. 614.

12- Ibid, p. 614.

13- Ibid, p. 614.

14- **See** :

- Joseph Straubhaar and Robert La Rose : Communication Media in the Information Society, Op. cit., pp. 440-442.

- Brian Williams and Others : Using Information Technology, Op. cit., pp. 614-618.

- C. Johnson : "Police tools of the 90s are highly advanced but privacy laws lag", The Wall Street Journal, Nov. 11, 1990.

- Erik Larson, Cited in Martin J. Smith; "Tactics for Evading Nosey Marketers", San Francisco Examiner, Nov. 21, 1993, in Brian Williams and Others, Op. cit., p. 618.

15- Marshall McLuhan : Understanding Media, (New York : McGraw Hill, 1964).

16- J. Lyotard : The Postmodern Condition, (Manchester : Manchester University Press, 1984).

17- Joseph Straubhaar and Robert La Rose : Communication Media in Information Society, Op. cit., p. 440.

18- Henry Dodrick and Robert La Rose : The Telephone in Daily Life, A Study of Personal Telephone Use, (Miami : Department of Telecommunication, 1992), in Straubhaar and La Rose, Ibid., p. 440.

19- TV Guide, 10 April 1993.

20- Irving Fang : A History of Mass Communication, Op. cit., p. 192.

21- Ibid., p. 192.

obeikandl.com